من مظاهر التداولية: أساليب الخبر والإنشاء في البلاغة العربية

Aspects of pragmatics: statement and performative in Arabic rhetoric

خولة إبرير*

جامعة الشاذلي بن جديد، الطارف. Khaoulaibrir@yahoo.com

د. فريدة لعبيدي.

جامعة الشاذلي بن جديد، الطارف. Labidi.farida@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2022/08/30 تاريخ القبول: 2022/09/03 تاريخ النشر: 2022/09/15

ملخص: يدرس هذا المقال أساليب الخبر والإنشاء في البلاغة العربية بوصفها مفهوما أساسيا من أهم المفاهيم التي أنتجتها الحضارة العربية الإسلامية، يمثل أرقى مستويات التحليل اللغوي للنصوص والخطابات والأقوال، يتفاعل فيه المستوى الصوتي والصرفي والنحوي والمعجمي والدلالي ويتجاوز ذلك إلى الظروف والأحوال المحيطة. وقد خلص المقال إلى أن أساليب الخبر والإنشاء في البلاغة العربية تمثل مظهرا من مظاهر التداولية بالمفهوم الحديث كونها تتقاطع مع نظرية أفعال الكلام.

كلمات مفتاحية: تداولية، بلاغة عربية، لغة، خبر، إنشاء.

Abstract:

This article studies the concept of methods of statement and performative in Arabic rhetoric as a basic concept of the most important concepts produced by the Arab-Islamic civilization, representing the highest levels of linguistic analysis

* **المؤلف المرسل:** خولة إبرير، **الإيميل:** Khaoulaibrir@yahoo.com

of texts, discourses and sayings, in which the phonetic, morphological, grammatical, lexical and semantic levels interact and go beyond that to the surrounding circumstances and conditions.

Keywords: pragmatics; Arabic rhetoric; language; statement; performative.

-مقدمة:

تعد أساليب الخبر والإنشاء أساسا عميقا في بناء النسق البلاغي العربي، وتمثل مظهرا واضحا من مظاهر التداولية بالمفهوم الحديث، يتجلى ذلك في استعمال اللغة حسب مقتضيات المقام الذي يوجد فيه المتخاطبون وأحوالهم المختلفة، كيف يتخاطبون؟ ومتى يتخاطبون؟ ولماذا يتخاطبون؟ ومع من؟ وماذا يقولون؟ وكيف يبلغون أغراضهم ويعبرون عن مقاصدهم المتنوعة بتنوع النصوص والخطابات حسب ما تقتضيه أنشطة الحياة الاجتماعية وحاجاتها المتعددة التي تحتاج في التعبير عنها إلى استعمال اللغة حسب مقتضيات المقام؟

نتناول في هذا الموضوع مفهوم أساليب الخبر والإنشاء في البلاغة العربية بوصفها مفهوما أساسيا من أهم المفاهيم التي أنتجتها الحضارة العربية الإسلامية، يمثل أرقى مستويات التحليل اللغوي للنصوص والخطابات والأقوال، يتفاعل فيه المستوى الصوتي والصرفي والنحوي والمعجمي والدلالي ويتجاوز ذلك إلى الظروف والأحوال المحيطة. مع الاشارة إلى أن البلاغة مفهوم عربي أصيل وعلم كلي يشمل مفاهيم عديدة أخرى: البيان والمجاز... وأساليب الخبر والإنشاء في بناء الخطاب وتوجيهه حسب مقتضيات مقامه وأحوال خطابه وهو في ذلك نسق معرفي تواصلي تداولي تلتقي فيه تخصصات عديدة وإبداعات متنوعة. وإذا كانت أساليب الخبر والإنشاء أساسا في بناء النسق البلاغي العربي القديم فإن نظرية الأفعال الكلامية تمثل هي أيضا أساسا في بناء النسق التداولي في البلاغة الجديدة.

هذا ما سنحاول الكشف عنه في هذا الموضوع مع محاولة تدعيمه ببعض الأمثلة الدالة.

1- **التداولية**:

بات معروفا للمشتغلين بحقول التداولية، أن رسم الحدود الواضحة لهذا المفهوم المنتشر في قطاعات معرفية شتّى، هو أمر مستعص ومنفلت، وذلك نتيجة اتسّاع مجالها، وتغذيها من مرجعيات متباينة: لسانية وفلسفية وبلاغية...وهذا أدّى إلى صعوبة بلورة مفهوم موحد للتداولية[1]، وكذا صعوبة تحديد مصطلح لهذا المفهوم، إذ إنّه لا بد من عدم الخلط بين مصطلح (Pragmatisme) ومصطلح (Pragmatique) فإذا كان الأول يعني الأبعاد المعرفية والفكرية والفلسفية للأفكار النظرية الأمريكية، غايتها وأهدافها المحددة لوسائلها والمحققة لمصالحها وتترجم بالذرائعية وأحيانا أخرى بالنفعية، وأخرى بالبراغماتية[2] فإن الثاني: ظهر انطلاقا من الأصل اليوناني "pragma" الذي يعني action ومنه اشتقت الصفة اليونانية "pragmatikos" الذي يحيل على كل ما يتعلق بمعاني العمل action، وابتداء من القرن السابع عشر ميلادي انتقل الاستعمال إلى الميدان العلمي فصارت pragmatique تعني كل بحث أو اكتشاف من شأنه أن يعرف أو يفضي إلى تطبيقات ذات ثمار علمية[3]هذا ويرجع أول استعمال للمصطلح pragmatique linguistique إلى الفيلسوف الأمريكي شارل موريس Charles W.Morris سنة 1938 في عمله الشهير foundation [4]of the theory of signs وقد وضعت عدة مقالات عربية للمصطلح pragmatiqueكالبراغماتية والمقامية والسياقية والتداولية وعلم المقاصد والتداوليات والمقاماتية وغيرها من المقابلات . كما حدد مفهوم التداولية على أنّها دراسة المعنى كما يوصله المتكلم (أو الكاتب) ويفسره المجتمع (القارئ)؛ لذا فإنها مرتبطة بتحليل ما يعنيه الناس بألفاظهم أكثر من ارتباطها بما يمكن أن تعنيه كلمات أو عبارات هذه الألفاظ منفصلة. التداولية هي دراسة المعنى الذي يقصده المتكلم[5] فالتداولية تُعنى بالجانب المتعلق باللغة ودراستها في واقع الاستعمال من لدن المستعملين لها، كيف يستعملونها وكيف يخرجون بها من الوضع إلى الاستعمال حسب المقامات الاستعمالية التي تستدعيها وتقتضيها[6] وتُعنى أيضا بالجانب العلمي الوظيفي التطبيقي للعمل اللغوي، أي كيف سيستثمر المتكلمون المعرفة النظرية في الجانب التطبيقي، ليصبح قابلاً للتداول

والتحاور والتواصل، معبّراً عن الأغراض والمقاصد[7]. فالتداولية إذا حقل لساني يهتم بالبعد الاستعمالي للكلام ويأخذ بعين الاعتبار أحوال المخاطِب والمخاطَب والمقام المتمثل في جميع الظروف المحيطة بالمتكلمين أثناء انتاجهم للكلام أو استقباله والمقاصد التي يصبون إليها المعلنة منها والمضمرة إلى جانب اهتمامه بالحجاج وأنواع الأفعال التي يؤدوها أثناء تكلمهم أي أنها تسعى إلى الإجابة عن جملة من الأسئلة: من يقول؟ لمن يقول؟ ماذا يقول؟ كيف يقول؟ ماذا يقصد؟ أين ومتى يقول؟ وغيرها من الأسئلة بغية الوصول إلى غاياتها وذلك من خلال استخدام اجراءات التحليل التداولي للخطاب.

2- **البلاغة**:

- **لغةً**: جاء في معجم "لسان العرب " لابن منظور (مادة ب.ل.غ): "بلغ الشيء، يبلغ، بلوغا وبلاغا: وصل وانتهى[8]. فالبلاغة في اللغة الوصول والانتهاء، يقال: بلغ فلان مراده، إذًا وصل إليه، وبلغ الركب المدينة، إذًا انتهى إليها، أو شارف عليها ومنه قوله تعالى: "فإذا بلغن أجلهنّ " أي قاربنه وبلغ الرجل بلاغة فهو بليغ: إذا أحسن التعبير عما في نفسه[9].
- اصطلاحا: أما في الاصطلاح فالبلاغة تعدّ مفهوماً متجذرًا في الموروث العربي فتكون البلاغة في الكلام وفي المتكلم، فأما البلاغة في الكلام هي مطابقة لمقتضى الحال مع فصاحة ألفاظه مفردها وتركيبها[10] فالكلام البليغ هو الواضح المعنى الملائم للمقام الذي قيل فيه.

وأما بلاغة المتكلم: فهي ملكة أو صفة يكتسبها المتكلم تمكنه من أن يقول كلاماً بليغاً في أي مقام يريده دون تكلف أو جهد وهذه الصفة يكتسبها المتكلم جراء تعامله المستمر مع اللغة وممارساته المتواصلة لها في مقاماتها المختلفة. فبصبح بذلك كلامه سلساً جيّدًا يبعث في نفوسنا فيضاً من المشاعر. إذ إنّه "ليس هناك فرق بين البليغ والرّسام إلاّ أن هذا يتناول المسموع من الكلام وذلك يشاكل بين المرئي من الألوان والأشكال، أما في غير ذلك فهما سواء"[11].

وقد جاء في كتاب البيان والتبيين للجاحظ في حديثه عن مفهوم البلاغة:" قيل للفارسي ما البلاغة؟ قال: معرفة الفصل من الوصل، وقيل لليوناني ما البلاغة؟ قال: تصحيح الأقسام واختيار واختيار الكلام، وقيل للرومي ما البلاغة؟ قال حسن الاقتضاب عند البداهة والغزارة يوم الاطالة، وقيل للهندي ما البلاغة؟ قال وضوح الدلالة وانتهاز الفرصة وحسن الاشارة "[12].

ويقول الجاحظ أيضا:" حدّثني صديق لي قال قلت للعتابي ما البلاغة قال:"كل من أفهمك حاجته من غير إعادة ولا حبسة ولا استعانة فهو بليغ ... قال فقلت له قد عرفت الإعادة والحبسة فما الاستعانة. قال ما تراه إذا تحدث عند مقاطع كلامه: يا هناه ويا هذا ويا هيه واسمع مني واستمع إلى وافهم عني، أو لست تفهم، أو لست تعقل. فهذا كله وما أشبهه عي وفساد"[13].

والبلاغة ثلاثة علوم:

أ- علم المعاني: أصول وقواعد يعرف بها كيفية مطابقة الكلام لمقتضى الحال بحيث يكون وفق الغرض الذي سيق له[14].

ب- علم البيان: أصولٌ وقواعدٌ يعرف بها إيراد المعنى الواحد بطرق يختلف بعضها عن بعض في وضوح الدلالة على نفس ذلك المعنى ولابدّ من اعتبار المطابقة لمقتضى الحال دائما[15].

ج -علم البديع: هو علم يعرف به الوجوه والمزايا التي تزيد الكلام حسنا وطلاوة وتكسوه بهاءً ورونقاً بعد مطابقته لمقتضى الحال ووضوح دلالته على المراد[16].

سنسلط الضوء في هذا المقال على عنصر بالغ الأهمية يندرج ضمن علم المعاني وهو دراسة أساليب الخبر والإنشاء. كما سنحاول –لاحقا-إثبات التداخل الحاصل بين أساليب الخبر والإنشاء باعتبارها جزئية هامة من الدراسات البلاغية العربية القديمة وفي مقابل نظرية أفعال الكلام باعتبارها أهم نظرية جاءت بها الدراسات التداولية.

3- **أساليب الخبر والإنشاء:**

قُسّم الكلام عند البلاغيين إلى قسمين:

أ- **الخبر:** يعنون بأسلوب الخبر:"كل كلام يدخله التصديق والتكذيب أي أنّ النسبة الكلامية المفهومية من النص حين تطابق ما في الخارج يكون الخبر صدقاً والمخبر به صادقاً أو غير صادقٍ ... له فيكون الخبر كاذباً والمخبر به كاذباً "[17].

يقول أحمد الهاشمي:" إنّ الخبر هو ما يتحقق مدلوله في الخارج بدون النطق به نحو: العلم نافع، فقد أثبتنا صفة النفع للعلم وتلك الصّفة ثابتة له سواء (سواء تلفظت بالجملة السابقة أم لم تتلفظ) لأنّ نفع العلم حاصل في الحقيقة والواقع، وإنّما أنت تحكي، ما اتفق عليه الناس قاطبة، وقضت به الشرائع وهدت إليه العقول بدون نظر إلى ثبات جديد"[18].

- الأغراض التي من أجلها يلقى الخبر:

الأصل في الخبر أن يقلى لأحد الغرضين:

- إمّا إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنته الجملة إذا كان جاهلاً له ويسمّى ذلك الحكم "فائدة الخبر" نحو: "الدّين معاملة".
- وأما إفادة المخاطب أنّ المتكلم عالم أيضا بالحكم الذي يعلمه المخاطب كما تقول لتلميذ أخفى عليك نجاحه في الامتحان وعلمته من طريق آخر: أنت نجحت في الامتحان. ويسمى ذلك الخبر "لازم الفائدة".

وقد يلقى الخبر على خلاف الأصل لأغراض أخرى تستفاد من سياق الكلام أهمها:

- الاسترحام والاستعطاف، نحو: إنّي فقير إلى عفو ربّي.
- وتحريك الهمّة إلى ما يلزم تحصيله؛ نحو: ليس سواء عالمٌ وجهولٌ.

- وإظهار الضعف والخشوع؛ نحو: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾ (مريم 4).

- وإظهار التحسر والتحزن؛ نحو:﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَاأُنْثَىٰ ﴾ (آل عمران 36).

- وإظهار الفرح بمقبل، والشماته بمدب؛ نحو:﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾ (الإسراء 81).

- و التوبيخ، كقولك: الشمس طالعة.

- التذكير بما بين المراتب من التفاوت؛ نحو: لا يستوي كسلان ونشيط[19].

ب- الإنشاء:

" الإنشاء ما لا يصلح لقائله إنه صادق فيه أو كاذب"[20] نحو: "اغفر وارحم، فلا ينسب إلى قائله صدق أو كذب، وإن شئت فقل في تعريف الإنشاء ما لا يحصل مضمونه ولا يتحقق إلا إذا تلفظت به، فطلب الفعل في (إفعل) وطلب الكف في (لا تفعل) وطلب المحبوب في (التمني) وطلب الفهم في (الاستفهام) وطلب الاقبال في (النداء) كل ذلك ما حصل إلاّ بنفس الصيغ المتلفظ بها"[21].

وينقسم الإنشاء إلى: طلبي وغير طلبي.

أ- **طلبي**: وهو ما يطلب به حصول شيء لم يكن موجوداً عند الطلب ويتمثل في: الأمر والنهي والاستفهام والرجاء والتمني والنداء.

- **الأمر**: وهو طلب حصول الفعل مثلا: ﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا﴾. (مريم25)، ويخرج فعل الأمر إلى معانٍ غير المعنى الحقيقي وذلك باستخدام صيغ الأمر المعروفة كالالتماس والتعجب والنصح والارشاد والتعجيز[22] .

- **النهي**: وهو طلب الكفّ عن الفعل على وجه الالزام، مثلا: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ (الحجرات 11) ويخرج عن المعنى

الحقيقي إلى الدعاء والنصح والارشاد والالتماس والتحقير والتهديد والتوبيخ...إلخ[23].

- **الاستفهام**: وهو طلب العلم لشيء غير معروف. ويخرج إلى معانٍ متنوعة كالتقرير والتوبيخ والتعجب والتسوية والتمني والانكار والنفي والتعظيم والتهويل والتهكم...[24].

- **النداء:** وهو طلب الاقبال حقيقةً مثل: يا بُنيّ ويا صديقي أو حكماً مثل: "ويا جبال أوبّي معه "[25].

- **التمني:** وهو طلب مالا طمع فيه أو ما فيه عُسر ويكون بـ: ليت، لو، هل، مثلاً: ليت الحلم حقيقةً[26].

- **الترجي:** هو طلب الأمر المحبوب وأدواته: لعلّ، مثل: لعلَّ الصديق قادمٌ[27].

ب- **غير الطلبي**: فهو مالا يُطلب به حصول شيء أو عدم حصوله وأساليب الإنشاء كثيرة منها:

- **صيغ المدح والذم**: وهي نِعمَ و بئسَ وحبّذا ولا حبذا، مثل قوله تعالى:﴿بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَالْإِيمَانِ﴾ (الحجرات 11)

- **القسم:** وهو أسلوب من أساليب التوكيد وعناصره: أداة القسم والمقسم به وجواب القسم، وحروفه هي: الواو والباء والتاء. مثل: "ولا يهون وطني". وقول الله تعالى:﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ﴾ (الأنبياء 57).

- **التعجب:** وهو استعظام فعل فاعل ظاهر المازية، وللتعجب صيغتان: ما أفعل؛ نحو: ما أحسن العلم، وأفعل به؛ نحو: أقبح بالجهل[28].

- **صيغ العقود:** هي صيغ يدل معناها على الاتفاق على عقدٍ ما، نحو: بعتك، اشتريت منك، رهنتك، استأجرتك، استأجرت منك... إلخ.

- **الجمل المصدرة بـ"رب" أو بـ"كم" الخبرية:**

فربُّ وكم الخبرية تكون للتقليل أو للتكثير والقرينة هي التي تعين المراد[29]. مثل: رُبَّ ضارة نافعة، أو أن نقول لأحدٍ: كم ساعدتك ولم تساعدني.

تطرقنا فيما سبق إلى جزئيةٍ بالغة الأهمية من الجزئيات التي عكفت البلاغة العربية القديمة على دراستها والتمحيص فيها. والمتمثلة في تقسيم الكلام العربي من وجهة نظر بلاغية إلى "خبر" و"إنشاء"، ويبقى الأمر الذي نسعى إلى إثباته من خلال العنصر الموالي هو: هل فعلاً تُعدّ أساليب الخبر والانشاء مظهراً من مظاهر التداولية؟

4- **بين الخبر والانشاء ونظرية الأفعال الكلامية**:

تعدّ الأفعال الكلامية نظريةً قائمةً بذاتها داخل التداولية؛ بل وتكاد تكون أهم ما فيها، وإنّ الفعل اللغوي أو الكلامي acte de parole أو فعل الخطاب acte de discours كما يسمّى أحياناً مفهوم أساس في اللسانيات التداولية[30] وهي نظرية جاء بها ج.اوستين J.Austin سنة 1970، وج.سورل J.Searl سنة 1972. وطوّرها علماء آخرون بعد ذلك من أمثال هايمس، تهدف إلى الإحاطة بأفعال الكلام من جميع جوانبها مثل الحالة التي يتم فيها الكلام ونوعية العلاقات بين المتخاطبين بناءً على الوضع والنظام اللغوي الذي ينطلقان منه، ونوعية الأخبار والخطابات التي يتلقاها المخاطب[31].

إننا نتحدث لكي نتصرّف أو نعمل بتعبير آخر لكي ننجز أفعالاً كلامية مثل:

- ما يتعلّق بالتأكيد على الأشياء .affirmation
- أو بإثارة أسئلة .des interrogations
- أو بإعطاء أوامر des ordres.
- وبإقامة وعود .des promesses
- أو بأغراضٍ أخرى[32].

يحددّ جورج يول في كتابه "pragmatics"تصنيف أفعال الكلام في خمسة أنواع لوظائف عامة تنجزها أفعال الكلام كما يعزّز تصنيفه بأمثلة توضحية حتى يقرّب المعنى:

أ- **الإعلانات** déclarations: هي أنواع أفعال الكلام التي تغير الحالة عبر لفظها. كما هو مبيّن في المثال:

- القسيس: الآن اعلنكما زوجاً وزوجة.
- الحكم: أنت مطرود.
- رئيس هيئة المحلفين: وجدنا المتهم مذنباً.

باستعمال الاعلانات يغير المتكلم العالم عبر الكلمات.

ب- **الممثلات** representatives: هي أنواع أفعال الكلام التي تبين ما يؤمن به المتكلم. تمثل جمل الحقيقة والجزم والاستنتاجات والأوصاف مثلا:

- الأرض مسطحة.
- لم يكتب جومسكي عن الفول السوداني.
- كان يوماً مشمساً ودافئاً.

فهده الأمثلة كلها لتمثيل الحالة كما يعتقدها المتكلم. وباستعمال هذا النوع من الأفعال الكلامية، يجعل المتكلم الكلمات تُلائم العالم (عالم الاعتقاد).

ج- **المعبرات** expressives : هي أنواع أفعال الكلام التي تبيّن ما يعشر به المتكلم. فهي تعبر عن حالات نفسية، ويمكن لها أن تتخذ شكل جمل تعبّر عن سرور أو ألم أو فرح أو حزن أو عمّا هو محبوب أو ممقوت مثلا:

- أنا متأسف جدّا!
- تهانينا!
- أوه. نعم. عظيم. ممم!

باستعمال المعبرات، يجعل المتكلم الكلمات تُلائم العالم (عالم الأحاسيس).

د-**الموجهات** directives: هي أنواع أفعال الكلام التي يستعملها المتكلمون ليجعلوا شخصاً آخر يقوم بشيء ما. وهي تعبر عما يريده المتكلم، وتتخذ أشكال أوامرَ وتعليماتٍ وطلباتٍ ونواهٍ ومقترحات، ويمكن لها أن تكون إيجابية أو سلبية كما هو مبيّن في الأمثلة:

- أعطني كوباً من القهوة. أريدها صافية.
- هل يمكن أن تعيرني قلماً، رجاء؟
- لا تلمس ذلك.

باستعمال الموجه يحاول المتكلم جعل العالم ملائما للكلمات عبر (عبر المستمع).

هـ- **الملزمات** commissives: هي أنواع أفعال الكلام التي يستعملها المتكلمون ليلزموا أنفسهم بفعل مستقبلي لأنها تعبّر عمّا ينويه المتكلم. وهي وعود وتهديدات وتعهدات، ويمكن أن ينجزها المتكلم فقط باعتباره عضواً في مجموعة. مثلا:

- سأعود.
- سأنجزها بشكل صحيح في المرة القادمة.
- لن نقوم بذلك.

باستعمال الملزم، يأخذ المتكلم على عاتقه جعل العلم ملائماً للكلمات (عبر المتكلم)[33]. كما لخصّ جورج يول الوظائف العامة الخمس لأفعال الكلام التي حددّها سورل سنة 1979 في الجدول الآتي:

نوع الفعل	العملية	س:المتكلم / ص:الحالة
الإعلانات	الكلمات تغر العالم	س بسبب ص
الممثلات	جعل الكلمات تلائم العالم	س يؤمن ص
المعبرات	جعل الكلمات تلائم العالم	س يشعر ص
الموجهات	جعل الكلمات تلائم العالم	س يريد ص
الملزمات	جعل الكلمات تلائم العالم	س ينوي ص

الوظائف الخمس لأفعال الكلام (عن سورل 1979).

مما سبق يمكن اعتبار الأسلوب الخبري في البلاغة العربية القديمة مقابلا لـ: الممثلات في الدراسات التداولية؛ كما يمكن اعتبار الإنشاء بقسميه: الطلبي وغير الطلبي يتقابل مع الإعلانات والتوجيهات والإلزامات والتعبيرات في التداولية.

لا شك أن أي محاولة استنطاقية للتراث البلاغي العربي، تقودنا إلى اكتشاف مواطن تلاقي مع ما أقرته الدراسات التداولية المعاصرة.

ويبرز ذلك بوضوح عند التمعن في أسلوبي الخبر والإنشاء، حيث يلتقي هذا الأخير مع أهم نظرية تداولية وهي نظرية أفعال الكلام.

وقد وضحنا فيما سبق أن كلا من الخبر والإنشاء يستند إلى العلاقات الخارجية، فالخبر ما كان محكوما بثنائية الصدق والكذب وبالاعتماد على النظر إلى مدى مطابقته للخارج أو مخالفته. أما الإنشاء، فلا يمكن أن نحتكم فيه إلى معيار الصدق والكذب. وهذا لا يختلف عن الفكرة التي استند إليها أوستين في مجال نظرية أفعال الكلام حيث ميّز بين ثلاثة أنواع من الأفعال الكلامية:

- الأفعال الكلامية الإخبارية أو الإنجازية: ويتم توظيفها في إطار التخاطب، فما يحدثه المتخاطبون أثناء الحديث يكون أفعالا إخبارية، بالإضافة إلى الأفعال السلوكية التي تصاحبها وتدخل هي أيضا في إطار أحوالها التواصلية.
- الأفعال الإنشائية: وتتعلق بالدراسة البلاغية وبالمستويات الجمالية المختلفة التي تكمن في الخطاب وتؤدي تلك الأفعال دورا مهما في ذلك.

- الأفعال غير الإخبارية وغير الإنشائية: وتتعلق بكل ما يلجأ إليه المتكلم والمخاطب لضمان استمرار التخاطب وإثارة الانتباه لتقبل الخطاب[34].

كما وضّحنا أيضاً أن أساليب الإنشاء قد تخرج عن الأمر والنهي والنداء إلى أغراض بلاغية أخرى. "وفي هذا المنحى دليل واضح على وجود تقاطع معرفي قائم بين هذه التنظيرات المتعلقة بالخبر والإنشاء وخروجهما إلى دلالات وأغراض أخرى مع الطروحات والتصورات المتعلقة بتقسيم الفعل الكلامي إلى مباشرٍ وغير مباشرٍ"[35].

يحدّد يول أفعال الكلام المباشرة وغير المباشرة في كتابه (pragmatics) فيذهب إلى أن أفعال الكلام ثلاثة أشكال بنوية ولكل شكل وظيفته التواصلية[36] سنحاول إيجازها في الجدول الآتي مع تدعيمها بأمثلة حتى تتضح الرؤية جيدًا.

أشكال الفعل الكلامي (البنية)	الوظائف التواصلية للفعل الكلامي	مثال
الخبريةdéclarative	جملة خبريةstatement	تقف في الصف الأول
الاستفهاميةinterrogative	سؤالquestion	أتقف في الصف الأول؟
الأمريةimperative	أمر/طلبcommand/request	قف في الصف الأول

ثم يشرح بول كيفية الحصول على فعل كلامي مباشر أو فعل غير مباشر:

كلما وجدت علاقة مباشرة بين البنية والوظيفة، نحصل على فعل كلامي مباشر direct acte speechبينما كلما وجدت علاقة غير مباشرة بين البنية والوظيفة نحصل على فعل كلامي غير مباشر.indirect speech acte لذا يعتبر استعمال البنية الخبرية لتكوين جملة خبرية فعل كلامي مباشر ولكن استعمال البنية الخبرية لتكوين طلب فعل كلامي غير مباشر مثال:

- الطقس بارد اليوم: فعل كلام مباشر (بنية خبرية + جملة خبرية)
- أنا بهذا أخبرك عن الجو: فعل كلام مباشر (أعيدت صياغة الجملة)
- أنا بهذا أطلب منك أن تغلق النافذة: فعل كلام غير مباشر (جملة خبرية وظيفتها الطلب)

وهذا ما نراه يتوافق تماما مع خروج أغراض الخبر والإنشاء إلى دلالات فرعية تستشف من القرائن والأحوال.

الخاتمة:

ومن هنا نستخلص أن أساليب الخبر والإنشاء في البلاغة العربية تمثل مظهرا من مظاهر التداولية بالمفهوم الحديث كونها تتقاطع مع نظرية أفعال الكلام كما فصلنا فيما سبق.

الإحالات والهوامش:

[1]- وفاء صبحي، لغة الخطاب الإشهاري: دراسة في الحجاج ووسائل الإقناع، دار نور للنشر، 2018. ص310.

[2]- بشير إبرير، في تحليل الخطاب، مداخل منهجية وممارسات تطبيقية، تحت الطبع. ص 33.

[3]- الطاهر لوصيف، التداولية اللسانية، مجلة اللغة والأدب أعمال الملتقى علم النص، العدد 17، جامعة الجزائر ،2006. ص 6و7.

[4]- إدريس مقبول، الأسس الإبستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه، عالم الكتب الحديث، ط 1، إربد،بيروت، 2007. ص262.

[5]- جورج يول، التداولية، قصي العتابي، الدار العربية للعلوم ناشرون، دار الأمان، ط1، الرباط، المغرب، 2010.

[6]- بشير إبرير، في تحليل الخطاب...ص 34

[7]- نفسه، ص نفسها.

[8]- ابن منظور، لسان العرب، ص 48.

[9]- يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية: علم المعاني، علم البيان، علم البديع، دار المسيرة، ط1، عمان، الأردن، 2007. ص48.

[10]- نفسه، ص نفسها.

[11]- علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة: البيان والمعاني والبديع للمدارس الثانوية، دار المعارف، 1999. ص8.

[12]- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر،ج 1-3 ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.43.

[13]- نفسه ص 63.

[14]- السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة: في المعاني والبيان والبديع، ضبط وتدقيق وتوثيق يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 1999. ص74

[15]- نفسه 216.

[16]- نفسه ص 298.

[17]- مصطفى الصاوي الجويني، البلاغة العربية: تأصيل وتجديد، منشأة المعارف، 1985. ص 11.

[18]- السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة: في المعاني والبيان البديع...ص55.

[19]- نفسه ص 56.

[20]- علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة...ص139.

[21]- نفسه ص 69.

[22]- عبده عبد العزيز قلقيلة، البلاغة الاصطلاحية، دار الفكر العربي، ط3، القاهرة، مصر، 1992. ص 150 وما بعدها.

[23]- نفسه ص 160.

[24]- نفسه 160 وما بعدها.

[25]- نفسه ص 181.

[26]- زين العابدين حسين، المعجم في النحو والصرف، الدار العربية للكتاب، تونس، 1981. ص 86.

[27]- نفسه ص 81.

[28]- زين العابدين حسين، المعجم في النحو والصرف...ص83.

[29]- نفسه ص 115.

[30]- دومينيك مانغو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد يحياتن، منشورات الإختلاف، ط1 الجزائر، 2008. ص 102.

[31]- بشير إبرير، في تحليل الخطاب... ص38.

[32]- نفسه ص نفسها.

[33]- جورج يول...89 وما بعدها.

[34]- بشير إبرير، في تحليل الخطاب... 39.

[35]- واضح أحمد، الخطاب التداولي في الموروث البلاغي العربي من القرن الثالث الهجري إلى القرن السابع الهجري، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه لسانيات، كلية الآداب واللغات والفنون، قسم اللغة العربية وآدابها. ص261.

[36]- جورج يول: التداولية... 91.